

تاريخ استقبال المقال: 2016/04/12 تاريخ قبول نشر المقال: 2016/07/06 تاريخ نشر المقال: 2017/ 03/01

اسهامات ابن خلدون في بناء نظرية اجتماعية عربية

د. بن فرج الله بخته جامعة "حمة لخضر" الوادي- الجزائر

البريد الالكتروني: benfardjallah@yahoo.fr

ملخص:

بعد عرض تاريخي موجز حول شخصية ابن خلدون تطرقنا فيه لكل من ولادته، أسرته، نسبه، نشأته و دراسته، تنقلاته في بلدان المغرب، رحلته إلى المشرق وفاته، نشاطه و شخصيته تناول هذا المقال أهم الأفكار الاجتماعية لابن خلدون و التي تمحورت في نقاط أساسية و المتمثلة في اكتشافه لعلم جديد و نظريته الاجتماعية و التربوية والسكانية والدولة و العصبية و غيرها من الإسهامات الأخرى و مدى فعاليتها في دراسة واقع المجتمعات العربية الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: ، النظرية الاجتماعية عند ابن خلدون، النظرية التربوية عند ابن خلدون، نظرية المراحل الثلاث للمجتمعات والتغير الاجتماعي، إسهامات ابن خلدون، واقع المجتمعات العربية الإسلامية

The contributions of Ibn Khaldun and their effectiveness in the study of the reality of the Arab-Islamic societies

Abstract:

After a historical display a summary about the personality of Ibn Khaldun We discussed it for each of his birth, his family, lineage, upbringing and his studies, his movements in the Maghreb countries, his trip to the Orient, and his death, his activities and his personality dealt with this article the most important social ideas of Ibn Khaldun and which focused on key points and the discovery of a new science and social theory and education, population and state theory and other contributions, and their effectiveness in the study of the reality of the Arab - Islamic societies.

Keywords: social theory at the Ibn Khaldun, educational theory Ibn Khaldun, the three stages of the communities theory of social change, the contributions of Ibn Khaldun, the reality of the Arab-Islamic societies

المقدمة:

لقد أصبح العصر الذي نعيش فيه يحمل مستجدات موضوعية تستدعي ضرورة تبديل تصوراتنا للواقع و كيفية تناوله ، من هذا انه لم يعد للمكان الأهمية التي كانت في الماضي. فقد قضت وسائل الاتصال الحديثة و المواصلات و التثاقف على عزلة المكان، وقد أدى هذا إلى ضرورة إعادة النظر في المفاهيم و دلالاتها.

فالواقع الاجتماعي الجديد في ظل نظام عالمي جديد أدى إلى عولمة الإنسان و المجتمع و أوجه الحياة. و أصبحت مجتمعاتنا العربية بصفة خاصة و الإسلامية بصفة عامة تعيش أزمت على مختلف المستويات.

حيث أصبح من الضروري الرجوع إلى النظريات الاجتماعية من اجل مواجهة التغيرات التي تواجه مجتمعاتنا العربية الإسلامية على مختلف المستويات الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية و الثقافية و التربوية...الخ.

ورغم هذا تعاني العلوم الاجتماعية في مجتمعاتنا العربية الإسلامية أزمة تنظير واسعة لعدة أسباب لعل أهمها الاعتماد على النظريات الغربية البعيدة كل البعد من خصوصية مجتمعاتنا وهذا رغم أن تاريخ الفكر السوسيولوجي يزخر بإسهامات لفلاسفة و علماء عرب ومسلمين كأمثال ابن رشد و الفارابي وابن خلدون.

حيث كان العلامة عبد الرحمان ابن خلدون يمثل حالة خاصة و فريدة في المرحلة المبكرة في تاريخ الفكر السوسيولوجي و لقد تابع الكثير من علماء الغرب من مفكرين و مستشرقين و مؤرخين أعمال ابن خلدون ودرسوا أفكاره فمنهم من وصف مؤلفه "المقدمة" بالمعجزة العربية.

إذ ما يميز نظريات ابن خلدون الاجتماعية و السياسية والاقتصادية و الثقافية و التربوية أن أكثرها قابل للتطبيق في كل زمان و في كل مكان وبالتالي سيظل عبد الرحمان ابن خلدون الباحث الاجتماعي و الاقتصادي والسياسي حجة في نظر الباحثين في كل ما يتعلق بالحياة الاجتماعية والاقتصادية و ستظل نظرياته الواردة في مقدمته صالحة للاستفادة منها وفي هذا السياق جاءت هذه الورقة البحثية تبحث عن إسهامات ابن خلدون ودورها في دراسة واقع المجتمعات العربية الإسلامية من خلال بناء نظرية اجتماعية حديثة ضمن التراث الفكري العربي و الإسلامي و توظيف المفاهيم المناسبة و التي تتماشى و العصر الذي نعيش فيه و هذا من خلال طرحنا التساؤل أو الإشكال التالي: ما مدى فاعلية النظريات الاجتماعية عند ابن خلدون في دراسة واقع المجتمعات العربية الإسلامية؟، و كيف يمكن توظيفها في مختلف مستويات أو ميادين الحياة الاجتماعية؟ وكمحاولة للإجابة على هذه التساؤلات تطرقنا لأهم النقاط التالية:

- حياته و تنقلاته في بلدان المغرب و رحلته إلى المشرق نشاطه و شخصيته

- نظريته الاجتماعية

-نظريته التربوية

- نظريته السكانية

- نظرية المراحل الثلاث للمجتمعات والتغير الاجتماعي

و غيرها من النقاط التي تعرض و تشكل أهم الأفكار الاجتماعية عند ابن خلدون.

1-لمحة تاريخية عن ابن خلدون

1 - ولادته،أسرته، نسبه: نشأته و دراسته:

هو عبد الرحمن ابن خلدون.ولد بتونس سنة 732هـ (1232م) حدد بنفسه نسبه اليمني الحضرمي الذي يؤول به إلى وائل بن حجر من قبيلة كندة، ونسب نفسه إلى اسم احد أجداده و هو خالد المعروف بخلدون، وقد دخل خلدون الأندلس مع جند اليمانية وحل بإشبيل سنة 92هـ، و قيل في القرن الثالث هـ (9م) و تولى أفراد هذه الأسرة مناصب تربية وإدارية¹

وقد شغل أجداده في الأندلس و تونس مناصب سياسية و دينية مهمة و كانوا أهل جاه و نفوذ، نزح أهله من الأندلس في منتصف القرن السابع الهجري و توجهوا إلى تونس، و كان قدوم أهله إلى تونس خلال حكم الحفصيين².

نشا عبد الرحمن ابن خلدون في بيت علم وسياسة، وتوارثت أسرته الاشتغال بالقضاء. حفظ القرآن بالقراءات السبع، و درس الحديث و الفقه الملكي على أبي عبد الله محمد بن برال، وتلقى علوم العربية و الشعر على والده وعلى مشاهير علماء تونس. ودرس على العلماء المغاربة (الوافدين إلى تونس مع أبي الحسن المريني الذي احتلها سنة 758هـ) التوحيد و الفلسفة و المنطق، فتضلع في العلوم العقلية، وحذق فن الكتابة و الخ مما سهل عليه التأليف و تولى المناصب، و قد تزوج حوالي سنة 754 هـ . ولكن بعد فقد والده وشيوخه شقت عليه الإقامة و الدراسة في تونس³.

2- تنقلاته في بلدان المغرب، رحلته إلى المشرق -وفاته :

رحل ابن خلدون بعلمه إلى مدينة بسكرة حيث تزوج هناك، ثم توجه سنة 1356م إلى فاس حيث ضمه أبو عنان المريني إلى مجلسه العلمي و استعمله ليتولى الكتابة مؤرخا لعهد و ما به من أحداث و قدر لابن خلدون رحيل آخر عام 1363م إلى غرناطة ومن ثم إلى اشبيلية ليعود بعد ذلك إلى بلاد المغرب، فوصل إلى قلعة بني سلامة (مدينة تيارت الجزائرية حاليا) و أقام بها أربعة أعوام⁴ وأثناء هذه العزلة في قلعة ابن سلامة ألف مقدمته المشهورة

التي تعتبر الجزء الأول من كتاب (العبر) ،ثم احتاج إلى التحقيق و التنقيح في المصادر فرغب في العودة إلى تونس مقر أبائه و أثارهم ، و حل بتونس سنة 780هـ (1378م).

جاب معظم البلدان العربية قام في الأندلس و مصر و بلدان المغرب العربي و زار الحجاز و بلاد الشام. عاش حياة متقلبة بين النفوذ و الاضطهاد و بين القصور و السجون فكانت حياته زاخرة فعلا وعملا. نشأ في أسرة علم و كان بيت أبيه ملتقى للعلماء و أهل السياسة فاكسب حب العلم و البحث و حب الجاه و المنصب.

و لم يتوقف نشاطه بعد مغادرة بلدان المغرب للإقامة بالقاهرة، بل كان ينتقل بينها وبين الحجاز للحج، و القدس لزيارة المقامات، و دمشق.

و بينما كان ينتظر لحاق أهله من تونس فجع بخبر غرقهم في عاصفة بحرية «وذهب الموجود و السكن و المولد» كما قال: فعظم مصابه و مال إلى الزهد وأشفق عليه السلطان فترك منصب القضاء وعكف على تدريس العلم والقراءة و قضى بقية حياته في العبادة إلى أن وفاه الأجل بالقاهرة في 25 رمضان عام 808 هـ الموافق ل 17 مارس 1406 م⁵

3- نشاطه و شخصيته، أثاره و قيمته:

و عمل ابن خلدون في حياته سفيرا و حاجبا و عضوا بمجلس العلماء عند عددا من السلاطين في تونس والمغرب و اسبانيا (الإسلامية) و قد سجن لمدة عامين بالمغرب.⁶

ولذا لم ينعم بالهدوء والاستقرار سوى أربع سنوات قضاها في قلعة ابن سلامة 1375-1378م بعيدا عن شواغل السياسة، وكانت هذه العزلة أخصب فترات حياته في الإنتاج العلمي وقد أنهى فيها تأليف المقدمة- المشهورة أيضا بمقدمة ابن خلدون- خلال خمسة أشهر قضاها في التأمل و الكتابة و هي الكتاب أو المجلد الأول ضمن أشهر كتبه -كتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، الذي يقع في سبعة مجلدات.

و يعتبر ابن خلدون من أشهر الفلاسفة الذين برزوا في المغرب الإسلامي أمثال ابن باجه المتوفى عام 533هـ (1138م)، و الفيلسوف الصوفي محي الدين ابن عربي المتوفى عام 638هـ (1240م)⁷، حيث تعتبر المقدمة، أهم إنتاج علمي في العصر الإسلامي الوسيط، وتعد ابتكارا فريدا في فلسفة التاريخ و الحضارة

و تبدو أصالة آراء ابن خلدون فيما أورده في المقدمة من قواعد المنهج في البحث و التحقيق و النقد التاريخي و الاجتماعي و السياسي و الثقافي، و من مبادئ التفكير العلمي الذي اهتدى به هو نفسه إلى نظرياته في العمران و حقائق الاجتماع و المعاش، و الدولة والسلطة و العصبية، و البداوة و الحضارة، و العمل و الإنتاج، و الدين و الأخلاق، و علاقة الإنسان بالطبيعة في بيئته من حيث العوامل المادية و الفطرية و غيرها من ما يؤثر في نشأة المجتمع و عمرانته و تطوره و انحلاله.

و لتمييز تفكيره و وضوح آرائه و اقتضاره على بحث ما هو واقع من ظواهر التاريخ و العمران، يكاد يتفق الدارسون على انه هو واضع فلسفة التاريخ و المؤسس لعلم اجتماع مستقل بموضوعه و منهجه و مسائله،

و أول من وضعه على أسسه الحديثة، و قد ذكر هذا في مؤلفه "المقدمة" حيث يذكر "و هذا هو غرض هذا الكتاب الأول من تأليفنا..."، وهو علم مستقل بذاته موضوعه العمران البشري و الاجتماع الإنساني.

كان ابن خلدون على وعي بأنه يقيم علما جديدا بحد ذاته حيث يقول: «و اعلم أن الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة، غريب النزعة، غزير الفائدة...، و كأنه علم مستنبط النشأة...»⁸ و لقد جاء في الباب الأول "في أن الاجتماع البشري ضروري للنوع البشري و يعبر الحكماء عن هذا بقولهم الإنسان مدني بالطبع أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدينة في اصطلاحهم... فان هذا الاجتماع ضروري للنوع الإنساني و إلا لم يكمل وجودهم و ما أراده الله من اعمار العلم بهم... و هذا هو معنى العمران الذي جعلناه موضوعا لهذا العلم..."⁹

و يذكر ابن خلدون أن الكلام في الكتاب ينحصر في ستة فصول الأول في العمران البشري على الجملة وأصنافه وقسطه من الأرض و الثاني في العمران البدوي في ذكر القبائل والأمم الوحشية أما الثالث في الدول والخلافة والملك و ذكر المراتب السلطانية و قد جاء الفصل الرابع في العمران الحضري والبلدان والأمصار و خصص الخامس في الصنائع والمعاش والكسب ووجهه ثم جاء الخامس في الصنائع والمعاش والكسب ووجهه و السادس في العلوم واكتسابها وتعلمها.

و قد أكد ابن خلدون في محاضراته على أهمية الربط بين التفكير السوسولوجي و الملاحظات التاريخية.

و كان مؤمنا بالدراسة العلمية للمجتمع و بالبحث الامبريقي و بالبحث في أسباب الظواهر الاجتماعية.

و قد أضاءت عبقريته غروب الحضارة الإسلامية في نهايتها¹⁰.

لقد سبقت آراء ابن خلدون ونظرياته ما توصل إليه لاحقاً بعدة قرون عدداً من مشاهير علماء الاجتماع الغربيين و على رأسهم أقوست كونت الذي يعتبره الكثير بأنه مؤسس علم الاجتماع الحديث بصفة عامة و علم الاجتماع الفرنسي بصفة خاصة و في هذا الصدد الم يحين الوقت لتأسيس علم اجتماع إسلامي بصفة عامة و عربي بصفة خاصة يكون رائده ابن خلدون و بالتالي استنباط نظريات اجتماعية عربية بصفة خاصة و إسلامية بصفة عامة تسمح لنا بدراسة واقع المجتمعات العربية الإسلامية؟

II - أهم إسهامات ابن خلدون :

1- النظرية الاجتماعية عند ابن خلدون

فقد جمع ابن خلدون إذن بين التفكير النظري و الأسلوب العلمي مما ساعده على تدوين نظرياته و مشاهداته، كما مكنته تنقلاته و وظائفه من تعميق معارفه و توسيع ملاحظاته و مكنه اطلاعه على الأوضاع عن كثب من تدقيق منهجه في التفكير وأسلوبه في الكتابة. ويمكن تلخيص المقدمة في مجموعة نظريات وأسس وضعها ابن خلدون لتجعل منه المؤسس الحقيقي لعلم الاجتماع على عكس ما يدعيه علماء الغرب أن المؤسس الحقيقي هو الفرنسي أوغست كونت ومن خلال قراءة المقدمة يمكن وضع ثلاثة مفاهيم

أساسيه تؤكد ذلك وهي أن ابن خلدون في مقدمته بيّن أن المجتمعات البشرية تسير وتمضي وفق قوانين محددة وهذه القوانين تسمح بقدر من التنبؤ بالمستقبل إذا ما دُرست وفُقّحت جيدا، وأن هذا العلم (علم العمران كما أسماه) لا يتأثر بالحوادث الفردية وإنما يتأثر بالمجتمعات ككل، وأخيرا أكد ابن خلدون أن هذه القوانين يمكن تطبيقها على مجتمعات تعيش في أزمنة مختلفة بشرط أن تكون البني واحدة في جميعها.

و قد توصل إلى نظريات باهرة في هذا العلم حول قوانين العمران و نظرية العصبية و بناء الدولة و أطوار عمارها و سقوطها.

و يمكن إجمال إسهاماته بتاريخ الفكر الاجتماعي بالنقاط التالية:¹¹

1- قدم دراسة تاريخية للمجتمع حيث أشار إلى أن المجتمع يمر بثلاث مراحل تاريخية متباينة و كل مرحلة حضارية متصلة بالمرحلة الحضارية التي سبقتها.

2- قسم المجتمعات إلى أنواع مختلفة وفقا لدرجة تقدمها الحضاري و الاقتصادي و الفني فابرز نوعين من المجتمعات البشرية، الأول هو المجتمع الريفي و سماه مجتمع البدو و الذي يتميز بظاهرة العصبية.

أما الثاني فهو المجتمع الحضري الذي يتميز بمستوى اقتصادي عال و بدرجة كبيرة من التقدم الثقافي و الصحي و العمراني...

3- الحركة الاجتماعية في دورة مستمرة و تؤدي وظيفتها بشكل ألي و دائم

4- الاجتماع الإنساني ضروري لان الإنسان مدني بطبعه و يسير في شرح هذه القضايا على وتيرة أرسطو و الفارابي و يؤكد على إن عدم كفاية الفرد لنفسه يدفعه إلى التعاون و الاشتراك في حياة الجماعة.

5- لقد كان ابن خلدون يدرس الظواهر الاجتماعية في حالتها الساكنة و المتحركة فكان يدرس الظاهرة و أجزاءها و وظائفها و ما إلى ذلك من مسائل الدراسة الستاتيكية (الساكنة) و يدرس في نفس الوقت تطورها و القوانين التي تخضع لها في هذا التطور.

و قد اهتم ابن خلدون اهتماما ملموسا بنظم اجتماعية عديدة كالنظام السياسي و النظام الاقتصادي و العلاقات المتبادلة بينهما، كما اهتم بالمقارنة بين المجتمعات البدائية و الحديثة.

حيث تحليلاته جاءت حول الأبعاد الاقتصادية ، الثقافية و السياسية للمجتمع من خلال مشروع تحليل علمي للمجتمعات . يجب الإشارة إلى أن بعض من علماء الاجتماع الذين تطلعوا إلى نصوص ابن خلدون من خلال ترجمة دي سلان (باريس 1863-1868) أشاروا إلى الأهمية السوسولوجية لمؤلفه و بهذا يصرح الأستاذ لودويغ غومبلوفيتش من جامعة غراز بالنرويج في كتابه الذي نشر سنة 1900 والذي خصص فيه فصل كامل لابن خلدون بان هذا الأخير درس الظواهر الاجتماعية و عبر عن أفكار عميقة و ما جاء به في مقدمته يحتوي على قطع مبعثرة من معاهدة كاملة في علم الاجتماع...و المنهجية واضحة تشهد عن وجود تفكير علمي حقيقي مبني على الملاحظة التحليلية للأحداث. أن القراءة

السوسيولوجية لابن خلدون مهمة بما أن في تحليلاته للمجتمع يضع النقاط على العلاقات الاجتماعية أكثر منه عن البنيات حيث أن تلك العلاقات هي دائما في عدم استقرار إذ أن مفهوم الاجتماع الذي يستعمله دائما يدل على طريقة العلاقات الاجتماعية. يلاحظ أن ابن خلدون ينطلق من تناول المجتمع الإنساني من مفهومه العام وليس من مجتمع بذاته، ويتضمن هذا إيمانه بأن هناك قوانين عامة تشمل جميع المجتمعات الإنسانية¹².

ويرتكز المنهج الخلدوني على أن كل الظواهر الاجتماعية ترتبط ببعضها البعض، فكل ظاهرة لها سبب وهي في ذات الوقت سبب للظاهرة التي تليها. لذلك كان مفهوم العمران البشري عنده يشمل كل الظواهر سواء كانت سكانية أو ديموغرافية اجتماعية، سياسية، اقتصادية أو ثقافية. فهو يقول في ذلك: "فهو خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة هذا العمران من الأحوال مثل التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن الكسب والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال. وقد تجسد هذا المنهج بجملة من القواعد"¹³:

أ- الشك و التمحيص

ب- قانون الأشياء من خلال التتقيب ثم التمحيص و النقد العلمي فاستقراء الواقع و بالتالي كشف القوانين.

ج- الواقعية الاجتماعية أي النظر إلى الحقائق الاجتماعية و الوجود الاجتماعي كما هو مشخص في مواد

د- القياس و الاستدلال للبرهنة على قوانينه العمرانية

هـ- السبر والتقسيم كمحور للكشف الاجتماعي عند ابن خلدون في المجتمع العمراني

و- التعميم و أصوله و كيفية الانتقال من الجزء إلى الكل أي من الحوادث المشاهدة الأخرى التي لم تشاهد.

فالتصميم السوسيولوجي عند ابن خلدون يعني تفسير ما هو اجتماعي لفهم التاريخ

إن علم المجتمع عند ابن خلدون الذي عرفه في كتاب العبر (1376م)، يقع خارج الوضعية و

المثالية حيث انه اكتشف علم جديد وهو يؤلف كتابه حول تاريخ البربر (1374-1382) الذي

يسمح بفهم الدينامية التاريخية للشعوب.

فعلم الاجتماع الخلدوني يختلف عن علم الاجتماع الكونتي ، فعلم الاجتماع الخلدوني يختلف عن

علم الاجتماع الأوروبي لان هذا الأخير هو علم اجتماع إشكالي أي سوسيولوجيا التساؤل أما ما

جاء به ابن خلدون فهو سوسيولوجيا الوضعية أي وضعية المجتمع¹⁴.

2- نظرية ابن خلدون السكانية :

يقدم لنا عبد الرحمن ابن خلدون المفكر الاجتماعي العربي، في غضون القرن الرابع عشر الميلادي، بعض

الأفكار التي أثرت فيما بعد في تطوير الاهتمام بدراسة السكان حيث يذهب ابن خلدون إلى أن المجتمعات

تمر خلال مراحل تطورية محددة تؤثر على عدد المواليد و الوفيات في كل مرحلة. إذ يشهد المجتمع في

المرحلة الأولى من تطوره زيادة معدلات المواليد و نقص في معدلات الوفيات، بما يؤثر على نمو السكان و يزيد عددهم.

وعندما ينتقل المجتمع إلى المرحلة الأخيرة من تطوره ، يشهد ظروفًا ديموغرافية مخالفة تمامًا، حيث ينخفض فيها معدل الخصوبة و المواليد، ويرتفع معدل الوفيات...¹⁵

إن هذه الملاحظات أو القوانين التي طرحها ابن خلدون تشكل نظرية سكانية أو ديموغرافية لها مصداقيتها على واقع المجتمعات بصفة عامة و العربية و الإسلامية بصفة خاصة لأنه تطرق إلى ما نسميه حاليًا بالتحول الديموغرافي و التغيير الديموغرافي و مختلف الظواهر السكانية من حجم السكان ونموهم التي أصبح يهتم بها كل من علم اجتماع السكان و الديموغرافيا أو علم السكان.

و يوضح ابن خلدون تأثير كل مرحلة من مراحل تطور المجتمع على مستوى الخصوبة و الوفيات حيث يقول: إن الخصوبة العالية في المرحلة الأولى عائدة إلى نشاط السكان و تقنيتهم و مقدرتهم العالية ، أما في المرحلة الأخيرة فتزداد نسبة الوفيات نتيجة الأوبئة و الثورات و الاضطرابات مما يقلل من نشاط السكان، و بالتالي ينخفض نسلهم و قدرتهم على الإنجاب و التناسل.¹⁶

سبق مالتس إلى نظرية تزايد السكان

لقد تحدث ابن خلدون في مقدمته الشهيرة عن القوانين التي يسير عليها التزايد في النوع الإنساني، و بذلك سبق "مالتس" في نظريته التي اشتهر بها، وهي نظرية "تزايد السكان".

و يمكن القول بهذا السياق أن ابن خلدون قد ربط تطور الاقتصاد و ازدهاره بكثرة عدد السكان، أما قلتهم فاعتبرها سببًا مباشرًا يؤدي إلى تدهور الاقتصاد، و يقول بهذا المجال: "واعلم انه إذا فقدت الأعمال أو قلت بانتقاص العمران، تأذن الله برفع الكسب، ألا ترى إلى الأمصار القليلة السكان، كيف يقل الرزق و الكسب فيها أو يفقد لقلّة الأعمال الإنسانية، و كذلك الأمصار التي يكون عمرانها أكثر، يكون أهلها أوسع أحوالاً، و اشد رفاهية"¹⁷

ولعل أهم أراء ابن خلدون في هذا المجال، أن المجتمعات السكانية المستقرة تحظى بارتفاع في مستوى معيشة أفرادها ، و ذلك لان كبر الحجم السكاني يسمح بتقسيم العمل بشكل أكثر تخصصًا، و يساعد على استثمار أكثر فعالية و جدوى للموارد، و يوفر كذلك قاعدة لإقامة امن اقتصادي و سياسي و اجتماعي أفضل.¹⁸

3- النظرية التربوية عند ابن خلدون

لابن خلدون مساهمة فعالة في علم اجتماع التربية بصفة خاصة و علم التربية بصفة عامة والذي لم يكن معروفًا كعلم أكاديمي مستقل مثل اليوم، وقد عملت دراسات كثيرة حول الفكر التربوي الخلدوني، و يمكن إجمال أفكاره التربوية في النقاط التالية:

- أن العلم ينقسم إلى علمين علم نقلي وعلم عقلي

- التدرج في التعليم حيث يقول ابن خلدون في الفصل السابع و الثلاثون في وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق إفادته "اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيداً، إذا كان على التدرج، شيئاً فشيئاً و قليلاً قليلاً، يلقي عليه أولاً مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب.... و يراعى في ذلك قوة عقله و استعداده لقبول ما يرد عليه... و عند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم...فان قبول العلم و الاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجياً ... و من المذاهب الجميلة و الطرق الواجبة في التعليم ان لا يخلط على المتعلم علمان معاً..."¹⁹

- البدء بالمحسوسات والتدرج حتى الملموسات

- يكون تعليم الصبي بداية بعض سور القرآن الكريم وبعض الأشعار حتى تقوى ملكة الحفظ

بالنسبة لابن خلدون هناك علاقة أساسية بين المعرفة و التعلم و التدريس أو التعليم : فالمعرفة العلمية هي عملية استطرادية و بناءة و لا تنحصر فقط في بث أو نشر و حفظ للمعارف المتكونة و إشراك لحركة التعليم و التعليم الذاتي. و قد جاء في الفصل الأول من الباب السادس في أن العلم و التعلم طبيعي في العمران البشري و في الفصل الثالث من الباب السادس "في أن العلوم إنما تكثر حيث يكثر العمران و تعظم الحضارة و السبب في ذلك أن تعليم العلوم كما قدمناه من جملة الصنائع"²⁰

و يتطرق ابن خلدون إلى قضية مهمة جدا و هي طريقة التعامل مع المتعلم و التلميذ حيث يذكر في الفصل الأربعون في أن الشدة على المتعلمين مضره بهم "و ذلك: أن إرهاف الحد في التعليم مضر بالمتعلم، سيما في أصاغر الولد، لأنه من سوء الملكة. و من كان مرياه بالعسف و القهر من المتعلمين...سطا به القهر

و ضيق عن النفس في انبساطها، و ذهب بنشاطها و دعاه إلى الكسل و حمل على الكذب و الخبث... فينبغي للمعلم في متعلمه و الوالد في ولده أن لا يستبدا عليهما في التأديب".²¹

أن ما يمكن الإشارة إليه أن المؤسسات التربوية و التعليمية في مجتمعاتنا العربية الإسلامية تعيش مشكلات كثيرة متنوعة و متعددة لا تختلف عن ما تطرق إليه ابن خلدون في عصره وقد تلعب هذه النظرية دور هام في فهم و حل هذه المشكلات.

-نظرية المراحل الثلاث للمجتمعات والتغير الاجتماعي عند ابن خلدون 4

يعتقد ابن خلدون أن التغير سمة أساسية مستمرة، فالجماعة الإنسانية لا تبقى على حالها و لهذا وضع نموذجاً لبداية الجماعة، و كيف عبر متصل تتحول تدريجياً إلى النموذج النهائي.

رأى ابن خلدون أن البداوة تمثل نموذج الجماعة بداية، تتحول تدريجياً لتصل إلى النموذج الحضري، فيقول "فالعمران، و هو التنازل و التنازل في مصر أو حلة للأنس بالعشيرة، و اقتضاء الحاجات، لما في طباعهم من التعاون على المعاش، و من هذا المعاش ما يكون بدوياً، و هو الذي يكون في الضواحي و في

الجبال و في الحلل المنتجة من القفار و أطراف الرمال، و منه ما يكون حضريا، و هو الذي في المصار و القرى و المدن و المدد، للاعتصام بها و التحصن بجدرانها“ قالبدو أصل للمدن و الحضرة و سابق عليهما... و مما يشهد لنا أن البدو أصل للحضر و متقدم عليه... أن أحوال الحضارة ناشئة عن أحوال لبدوة و أنها أصل لها... و قد تبين أن وجود البدو متقدم على وجود المدن و الأمصار و أصل لها“²².

و بالتالي يتحول النموذج البدوي تدريجيا بتبدل نحل العيش ليصل أو يندمج في النهاية في النموذج الحضري.

ولأن مبدأ التطور يمثل قانون الطبيعة، الذي ينطبق على كل أشكال الحياة، فإنه يشمل التطور الاجتماعي فيقول ابن خلدون في هذا الصدد: “و ذلك أن أحوال العالم و الأمم و عوائدهم و نحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة، و منهاج مستقر، أما هو اختلاف على الأيام و الأزمنة، و انتقال من حال إلى حال، و كما يكون في الأشخاص و الأوقات و المصار، فكذا يقع في الأفاق و الأقطار و الأزمنة و الدول“.

تتضمن محولة ابن خلدون في تناوله لعملية التطور الاجتماعي جانبين، يشير الجانب الأول إلى أن التغيير عملية طبيعية مستمرة، أما الجانب الثاني فيشير إلى التباين في عملية التطور بين الجماعات لاختلاف ظروفها، يشمل هذا التباين الاختلاف في درجة سرعة التغيير من جهة و اتجاهه من جهة أخرى.

للتغيير لدى ابن خلدون أسباب خارجية و أخرى داخلية، تشمل الأسباب الخارجية علاقة الإنسان بالبيئة الطبيعية، مواردها، جغرافيتها و المناخ، و علاقة الجماعة بغيرها من الجماعات سواء كان هذا بالاتصال، أو التحالف أو الاتحاد، أو التبدل في الروابط الاجتماعية و ضعف العصبية التي يمكن أن تعتبر نتيجة و سبب²³.

هذه النظرية أساسية و يجب ربطها بجانبين من فكره: وضع أو إقامة النماذج الاجتماعية (التنظيم الأسري، القبائل و الأمم)، التكنولوجيا، العلوم و الأديان.

و هذه النظرية تتعلق بالنظام الاجتماعي في كليته. فالمدينة ليست مستقلة عن البادية أو العالم البدوي. فهي تستمد منه القوة العسكرية و السلطة بمعنى الوسائل التي تسمح لها بالحفاظ على النظام الداخلي و الاحتماء من التهجمات و الأخطار الخارجية، حماية الطرقات و تنظيم الشبكات التجارية ذات السلم الكبير²⁴.

ابن خلدون يصف شكل للحركة الاجتماعية أي الانتقال من حالة قديمة إلى حالة جديدة حيث يبين تجديد السكان الحضريين و تركيبة النظام.²⁵

ومنه فإن علم العمران البشري و الاجتماع الإنساني علم شامل يتضمن بحث التشكيلات الاجتماعية و ما تشمله من نشاطات و تنظيمات اقتصادية و اجتماعية و سياسية و ثقافية بالإضافة إلى تطور المجتمعات و أسباب تغييرها.

5- إسهامات ابن خلدون في علم الاجتماع الطبي

و رغم أن المصادر الغربية ترجع ظهور علم الاجتماع الطبي في كل من أوروبا و الولايات المتحدة الأمريكية إلى الفترة التي تلت مباشرة الحرب العالمية الثانية ، فإن المصادر العربية الإسلامية تحوي إشارات عميقة و عديدة عن علم الاجتماع الطبي عند العرب ، و لا سيما عند الكتاب القدامى ، الذين عاشوا بعد القرن التاسع الميلادي أمثال ابن سينا ، ابن زهير الأندلسي ، البغدادي ، ابن قتيبة الدينوري و إخوان الصفا و غيرهم ، فقد ابتدعوا نظريات جديدة و أحدثوا أساليب مبتكرة في العلاج.

فسوء الحالة الاجتماعية للطبقة العاملة عند بدء الثورة الصناعية و أثر ذلك على الحالة الصحية و انتشار الأمراض دفع علماء الغرب إلى دراسة العلاقات الاجتماعية دراسة علمية منهجية خلال القرنين الثامن عشر و التاسع عشر و في هذا الصدد لا يفوتنا التنويه بأن دراسة ابن خلدون هي أقرب هذه الدراسات إلى المنهج العلمي، حيث جاء في أحد فصول مقدمته الشهيرة متحدثاً عن أهمية الطب أو كما سماه "صناعة الطب" و تأثير البيئة على ظهور الأمراض و توزيعها ما يلي: « هذه الصناعة ضرورية في المدن و الأمصار، لما عرف من فائدها، فإن ثمرتها حفظ الصحة للأصحاء و دفع المرض عن المرضى بالمداداة حتى يحصل لهم البرء من أمراضهم. و اعلم أن أصل الأمراض كلها إنما هو من الأغذية، كما قال (ص) في الحديث الجامع للطب "المعدة بيت الداء و الحمية رأس الدواء، و أصل كل داء البردة... فمعنى البردة إدخال الطعام على الطعام في المعدة..." و يواصل ابن خلدون الكلام "... و وقوع هذه الأمراض في أهل الحضر و الأمصار أكثر، لخصب عيشهم ، و كثرة مآكلهم ، و قلة اقتصارهم على نوع واحد من الأغذية، و عدم توقيتهم لتناولها... ثم إن الأهوية في الأمصار تفسد بمخالطة الأبخرة العفنة من كثرة الفضلات... ثم الرياضة مفقودة لأهل الأمصار، إذ في الغالب وادعون ساكنون، لا تأخذ الرياضة منهم شيئاً... فكان وقوع الأمراض كثيراً في المدن و الأمصار و على قدر وقوعه كانت حاجاتهم إلى هذه الصناعة... و إما أهل البدو فمأكلهم قليل في الغالب... ثم إن الرياضة موجودة فيهم من كثرة الحركة... فتكون أمزجتهم أصلح و أبعد عن الأمراض فنقل حاجتهم إلى الطب و لهذا لا يوجد الطبيب في البادية بوجه. و ما ذاك إلا للاستغناء عنه، إذ لو احتج إليه لوجد...»²⁶.

6- مساهمة ابن خلدون في علم الاجتماع الحضري

إذا كان علماء اجتماع القرن 19 قد ابدوا اهتماماً بدراسة المدينة الغربية و ما شهادته من تغيرات خلال مرحلة التحول التي شاهدها تلك المجتمعات الغربية، فمن الجدير بالذكر التأكيد على أن الاهتمام بدراسة المدينة قد سبق كثيراً ظهور علم الاجتماع الغربي. فلقد حدد ابن خلدون أهل الحضر بأنهم هؤلاء الذين "تعاونوا في الزائد على الضرورة و استكثروا من الأقوات و الملابس... و توسعة البيوت... فيتخذون القصور و المنازل، و يجرون فيها الماء و يعالون في صروحها... و هؤلاء هم الحضر... و من هؤلاء من ينتحل في معاشه الصنائع و منهم من ينتحل التجارة..."²⁷.

كما تناول ابن خلدون أيضاً نشأة المدن و الأمصار و ما يجب مراعاته في أوضاع المدن من حيث الظروف المكانية نظراً لأثر المكان على بقاء هذه المدن و نموها. و من ثم فإن حديثه في هذا المجال يعد

دراسة لايكولوجية المدن كما انه رأى إن الفروق بين البدو و الحضرة ترجع إلى الاختلاف في مصادر الإنتاج و المهنة أساسا.

و لذلك تعد أرائه حول خصائص المجتمعات البدوية وخصائص الحضرة رائدة في مجال الدراسات الحضرية²⁸.

المدينة عند ابن خلدون هي مدينة علم و رفاهية، مثل ما هي جمهورية أفلاطون فهي جمهورية أفكار و الحقيقة. فالمدينة هي نتاج المجتمع، و الاقتصاد و العلم هما الأسس الحضارية و الملك موجود من أجل توفيرهما و الملك هو الممثل لأقوى تحالف أو تضامن للقوى الاجتماعية في البلاد و حكمه محسوب: فهذا التحالف أو التضامن يدوم زمن معين، زمن أربعة أجيال، حوالي قرن و هذا ما جاء في نظريته حول الدولة و العصبية.

7-نظرية الدولة و العصبية عند ابن خلدون

يخصص ابن خلدون الفصل الثالث من المقدمة للدول و الملك و الخلافة و مراتبها و أسباب و كيفية نشوئها و سقوطها، مؤكداً أن الدعامة الأساسية للحكم تكمن في العصبية. وقد اهتم بالعصبية اهتماما بالغاً إلى درجة أنه ربط كل الأحداث الهامة و التغييرات الجذرية التي تطرأ على العمران البدوي أو العمران الحضري بوجود أو فقدان العصبية. كما أنها في رأيه المحور الأساسي في حياة الدول و الممالك. كما جاء في الفصل الأول من مقدمته في ان الملك و الدولة العامة إنما يحصلان بالقبيل و العصبية.

فالعصبية نزعة طبيعية في البشر ، ذلك أنها تتولد من النسب. و إذا كانت العصبية تقوم عند ابن خلدون على أساس صلة الرحم، و النسب، و أيضا على أساس الولاء و الحلف، و كان الولاء و الحلف يعبران عن شكل من أشكال (التفاهم) و (الاتفاق)، فإنه يمكن القول بان العصبية تقوم أيضا على أساس من التعاقد، على الأقل في جزء من مكوناتها، و هو الولاء و الحلف.

و في هذا المعنى، يمكن التأكيد، على أن مفهوم (التعاقد) عند ابن خلدون، يستند على العصبية، في أساسين:

-في أساس العصبية باعتبارها تعبر عن شكل من أشكال التجمع، المعبر بدوره عن ضرب من الاتفاق بين الأفراد.

-في أساس الولاء و الحلف، باعتبارهما يعبران عن معنى من معاني الاتفاق، أيضا²⁹.

و يقرر ابن خلدون أن للدولة أعمارا طبيعية كما للأشخاص، و أن عمر الدولة لا يتعدى ثلاثة أجيال

حيث يقول "اعلم أن العمر الطبيعي للأشخاص...مائة و عشرون سنة...و أما أعمار الدول ...، إلا أن الدولة في الغالب لا تعدو أعمار ثلاثة أجيال. و الجيل هو عمر شخص واحد من العمر الوسط، فيكون أربعين الذي هو انتهاء النمو و النشوء إلى غايته." و في نفس السياق يبين هذه الأجيال و يشرحها:

“...إن عمر الدولة لا يعدو في الغالب ثلاثة أجيال: لأن الجيل الأول لا يزالوا على خلق البداوة...و الجيل الثاني تحول حالهم بالملك و الترف من البداوة إلى الحضارة...و إما الجيل الثالث فينسون عهد البداوة...و يفقدون حلاوة العز و العصبية...يكون هرم الدولة و تخلفها”³⁰.

فهذه الأجيال إذن فهي:

1- جيل البداوة الذي يتميز بالخشونة و البسالة.

2- جيل الحضارة الذي يتميز بالترف و مظاهر الدعة.

3- الجيل الذي يبلغ فيه الترف حدا يصبح الناس عالة على الدولة و يفقدون عصبيتهم

أي أن الجيل الثالث هو مؤشر لزوال الدولة وانقراضها من وجهة نظر ابن خلدون.

* كما له إسهامات في ميادين أخرى مثل علم الاجتماع البيئية و العلوم الشرعية و الطبيعية

حيث عرف ابن خلدون البيئية في مقدمته بأنها مكان تتوافر فيه إمكانات معينة و الإنسان وحده هو المهيأ للاستفادة من هذه الإمكانيات و إحداث التغيرات فيها بحسب ما تقتضيه ظروفه في المعاش و العمران البشري

كما يجب أن لا ننسى نظريته الشهيرة و المهمة في الاقتصاد و التي لتزال صالحة و فعالة إلى يومنا هذا.

III - مدى فعالية إسهامات ابن خلدون في دراسة واقع المجتمعات العربية الإسلامية:

لقد عرفت أعمال ابن خلدون -المقدمة خاصة- عدة أحداث و في العموم لاقت إعجاب الكثيرين في عهده كما انتشرت خاصة في الشرق، رغم قلة فهمها خاصة فيما يتعلق بالمقدمة وجانبها النظري و عرفت شهرة أكيدة إبان الحكم العثماني في أواخر القرن 16م إلى نهاية القرن 18 م إلا أن قراءتها كانت قليلة في المغرب العربي. و لقد تم اكتشافها في فرنسا و أوروبا في بداية القرن 19م .

للمقدمة في أواسط القرن 19م حدثا علميا كبيرا في زمنه لكنها SLANE وقد شكلت ترجمة البارون

تقدمت في الزمن من جهة و تم العثور على نصوص كاملة من جهة أخرى.

تقديم ترجمة حديثة للمقدمة إلى اللغة الفرنسية لم تبلغ كل أهدافها. Vincent Monteil كما أن محاولة

لكن في المقابل الترجمة الانكليزية لفرانس روزنتال شكلت خطوة كبير للأمام لأنها اعتمدت على النصوص الكاملة و كانت أكثر صرامة.

- ترجمة كتاب العبر الذي تم (Abdesselam Cheddadi) وقد جاءت الترجمة الجديدة لعبد السلام

شداوي

- تستفيد من كل الأعمال المنجزة منذ قرنين لندهب إلى بعيد سنة 2002 Gallimard نشره في دار النشر

بحيث تأخذ بعين الاعتبار كل الأعمال المتاحة اليوم و تقدم بهذا كل من الجانب النظري و التاريخي لعمل ابن خلدون. و هذا يفتح المجال أمام أبحاث جديدة حول النهج العام لابن خلدون الذي من خلال الاعتماد على اقتراب جديد للتاريخ و معرفة عميقة له يقترح نظرية جديدة للمجتمع و الحضارة الإنسانية.

لقد درس ابن خلدون مجتمعه في زمنه و مجاله بفكر علمي ،سواء على المستوى السياسي، الاقتصادي و الاجتماعي لشمال إفريقيا في القرون الوسطى التي تنتمي حاليا إلى جغرافية "التخلف" فالرجل كما يقال هو "ميكروكوزم" أي "العالم الصغير"، أي انه يعكس وسطه و زمنه³¹.

إن ابن خلدون يوضح مرحلة مهمة من ماضي الدول التي تنتمي إلى ما نسميه حاليا "دول العالم الثالث". فمن خلال تحليله العلمي للظروف الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية لإفريقيا الشمالية الوسيطة في القرن 14 طرح ابن خلدون عدد من المشاكل التاريخية المعقدة التي كانت من بين أسباب الاستعمار خلال القرن 19 و أدت إلى وضعية التخلف الحالية حيث إن ابن خلدون كان على علم بكل خصائص الدول الإسلامية و تطوراتها و حتى ما كان يدور حولها في باقي الدول الاخرى خاصة المجاورة لها.³²

تمثل "المقدمة" مساهمة أساسية لتاريخ التخلف أي فهم Yves Lacoste فبالنسبة لإيف لاکوست

الأسباب الداخلية و البعيدة و التي تتداخل مع الأسباب الخارجية فالأبعاد كبيرة : يتعلق الأمر بفهم أسباب "تخلف" العالم العربي الذي كان يسبق العالم الغربي -الأوروبي- في كثير من الميادين خلال العصور الوسطى.

لان فهم الأسباب التي لم تسمح للعالم العربي الاستمرار في تطوره-حين بدأت أوروبا تقدمها أو تطورها- يعني فهم ما سمح فيما بعد الاستعمار³³.

ومنه فإن النظرية الاجتماعية و النظرية التاريخية عند ابن خلدون تكتملان فيما بينهما لان فهم الواحدة يمر بفهم الأخرى.

كما يستعمل ابن خلدون مفهوم الملك بمعنى الحكم بصفة عامة وفي هذا السياق فان الملك مرتبط بنظريته السياسية-نظرية الدولة و العصبية- التي حسبها لا يمكن أن يكون هناك نظام اجتماعي دون حكم مؤسس على القهر و الغلبة فمفهوم الملك هو في مركز هذه النظرية و هو مرتبط ارتباطا وثيقا بالعمران-مساهمته في علم الاجتماع الحضري-. بالنسبة لابن خلدون لا يمكن أن تكون هناك حضارة (عمران) بدون حكم و نظام سياسي. و لا وجود لنظام سياسي و حكم بالمعنى الحقيقي للمفهوم بدون حضارة.

إن اقتراب ابن خلدون بما انه يعني اخذ المجتمع الإنساني ضمن توسعه ألمجالي و عمقه الزمني يشكل خاصية عالمية هذا الاقتراب له قيمته مهما كانت النتائج المتوصل إليها بما انه يشكل أول دراسة منظمة و كاملة للمجتمع الإنساني.

على مستوى أقل تعميم فإن علم الاجتماع عند ابن خلدون يأتي بنماذج للتفسير لمكانزمات سير المجتمع والملك أو الحكم تبقى صالحة و ملائمة ليومنا هذا³⁴. و في هذا الصدد و نفس السياق يقترح قستون بوتول

من خلال قرائته للمقدمة خمسة مواضيع أساسية: Gaston Bouthoul

- علم الاجتماع العام ؛ علم النفس الاجتماعي؛ علم النفس السياسي ؛ العصبية ؛ التغيير الاجتماعي³⁵.

ونلاحظ أن هذه المواضيع تدخل ضمنها أهم الإسهامات التي تم التطرق لها في هذا العمل البحثي.

و بالتالي إذا كانت المجتمعات العربية الإسلامية اليوم مثلها مثل كل مجتمعات العالم عرفت تغيرات عميقة في بنيتها الاجتماعية و أنظمتها السياسية وفي اقتصادها و ثقافتها فإنها في الحقيقة لم تقطع حبلها السري مع ماضيها ولو كان هذا ذاتيا و ثقافيا. ربما قد تكون المجتمعات العربية الإسلامية اليوم أكثر المجتمعات شعورا بالحنين إلى ماضيها هذا لا يعني أنها أكثر ارتباطا بماضيها من المجتمعات الأخرى و لكن يعني هذا أن فهمها لماضيها و حاضرها سيئ و لم تسوي مشاكلها لا مع ماضيها و لا مع حاضرها و في هذا السياق قد تكون أفكار ابن خلدون و إسهاماته المختلفة ذات منفعة كبيرة و بالتالي فإن قراءة جديدة و عميقة لمؤلفاته قد تسمح لهذه المجتمعات معرفة جذور مشاكلها الحاضرة . إن احد اكبر العوائق لتطور المجتمعات الإسلامية اليوم مرتبط باستيعاب و دمج مفاهيم سياسية مثل الدولة و المواطنة و الحريات ولدت في نظام اجتماعي و سياسي مغاير لها. و للتغلب على هذا العائق فإن أول إجراء هو فهم أين يكمن الفرق بين النظام الاجتماعي و السياسي في الدول العربية الإسلامية و النظام الأوروبي الحديث. أن قراءة ذكية و عميقة لابن خلدون تساعدنا في هذا.

و بالتالي فإن أهم إسهامات ابن خلدون التي تطرقنا لها في هذه الورقة البحثية سواء تعلق الأمر بنظريته الاجتماعية أو السكانية أو التربوية أو نظريته حول الدولة و العصبية و غيرها من الإسهامات التي لا تقل أهمية عن بعضها البعض تشكل أفكارا ذات أهمية بالغة الفائدة ضمن التغييرات الجيوسياسية و الاجتماعية و الاقتصادية و كل الانقلابات في مختلف مستويات الحياة الاجتماعية و مؤسساتها التي يشهدها العالم العربي الإسلامي في أيامنا هذه.

و بالتالي فإن النظرية التفسيرية التي يقدمها ابن خلدون للنظام الاجتماعي و السياسي للمجتمعات الإسلامية في العصر الوسطي تبقى ليومنا الأكثر صلاحية واكتمال التي لدينا وذات فاعلية في دراسة واقع المجتمعات العربية الإسلامية. وهذا يستلزم اقتراب سوسيولوجي و قراءة ذكية يسمح باستخراج من "المقدمة" الإسهامات الأساسية في الفكر الخلدوني في فهم السيرورات أو العمليات الاجتماعية في المجتمعات العربية الإسلامية.

الخاتمة:

من خلال ما سبق يتبين لنا أن ابن خلدون تطرق لمختلف أوجه الحياة الاجتماعية خلال عصره و رغم إن المجتمعات الإسلامية عامة و العربية خاصة مثلها مثل كل مجتمعات العالم عرفت تغيرات عميقة لبنيتها الاجتماعية و مؤسساتها السياسية و الاقتصادية و الثقافية و هي لا تزال مرتبطة بماضيها و لو نسبيا أو ذاتيا و ثقافيا. و رغم هذه التغيرات الجذرية في حياة الإنسان و الحياة الاجتماعية و الثقافية، فإن معرفة ما تراكم من معرفة في العلوم الاجتماعية يبقى من مصادر تأهيل الإنسان لفهم أفضل، و القدرة على بناء معرفة تتوافق مع الواقع الجديد. فكثير مما توصل إليه المفكرون لا يزال صالحا، على الأقل على بعضه، لفهم الحاضر و تغيراته.

و بالتالي قد تكون أفكار و نظريات ابن خلدون نافعة لها فنحن أولى بدراستها و فهمها من الأوروبيين و الأمريكيين واليابانيين و محاولة فهم وحل المشاكل الماضية و الحاضرة و فهم جذور الصعوبات الحالية

فإن قراءة نكية و عميقة لابن خلدون قد تساعدنا على وجود حلول ليس بالضرورة جاهزة لمختلف المشاكل في شتى الميادين الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية و التربوية و الصحية... الخ . فنحن أمام

ضرورة الرجوع إلى تراثنا الفكري الإسلامي و العربي الأصيل لدراسته و تحليله وإبراز الجوانب المضيئة فيه و تنقيته من الشوائب التي علقته به وإحيائه وتطويره وتجديده ونشره وإعادة شرحه وتفسيره بما يناسب مقتضيات العصر و حاجياته و محاولة الوصول في النهاية إلى نظرية اجتماعية عربية شاملة متكاملة متميزة بطابعها العربي الإسلامي. تنظم كافة جوانب حياتنا الفكرية و الثقافية و التربوية والاقتصادية والاجتماعية و السياسية وتبني السبيل أمامنا في كافة دروب الحياة لا لان بناء مثل هذه النظرية في إطار عصري حديث أصبح أمراً ضروريا في هذا العصر الذي من سماته البارزة الصراع الفكري و العقائدي.

و على العلماء بصفة عامة و العلماء المسلمون بصفة خاصة إعادة قراءة أعماله و إظهار أهميتها بالنسبة لعلم الاجتماع المعاصر.

و با اختصار، فإن عبد الرحمن بن خلدون الباحث الاجتماعي والاقتصادي والسياسي سيظل في نظر الباحثين حجة في كل ما يتعلق بالحياة الاجتماعية والاقتصادية، وستظل نظرياته الواردة في مقدمته صالحة للاستفادة منها.

إن السبيل أمامنا في كافة دروب الحياة لا لان بناء مثل هذه النظرية في إطار عصري حديث أصبح أمراً ضروريا في هذا العصر الذي من سماته البارزة الصراع الفكري و العقائدي. و على العلماء بصفة عامة و العلماء المسلمون بصفة خاصة إعادة قراءة أعماله و اظهار اهميتها بالنسبة لعلم الاجتماع المعاصر.

وباختصار، فإن عبد الرحمن بن خلدون الباحث الاجتماعي والاقتصادي والسياسي سيظل في نظر الباحثين حجة في كل ما يتعلق بالحياة الاجتماعية والاقتصادية، وستظل نظرياته الواردة في مقدمته صالحة للاستفادة منها.

الهوامش

¹ أبو عمران الشيخ، معجم مشاهير المغاربة، جامعة الجزائر، 1995، ص 192

² -خلدون ابن https://ar.wikipedia.org/wiki/خلدون_ابن

³ أبو عمران الشيخ معجم مشاهير المغاربة، مرجع سبق ذكره، ص 192

⁴ -خلدون ابن https://ar.wikipedia.org/wiki/خلدون_ابن

⁵ أبو عمران الشيخ معجم مشاهير المغاربة، مرجع سبق ذكره، ص 193

جورج ريتزر، رواد علم الاجتماع، ترجمة مصطفى خلف عبد الجواد و آخرون، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،
الطبعة⁶

الأولى، 2006، ص.24 .

⁷ عمر التومي الشيباني، مقدمة في الفلسفة الإسلامية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص75.

⁸ عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة-ديوان المبتدأ والخبر...-، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، 2004، ص 50

⁹ عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، نفس المرجع، ص53

¹⁰ مالك بن نبي، شروط النهضة، دار الوعي وزارة الثقافة، الجزائر، الطبعة الأولى، 2013، ص59

سمير خليل عبد الفتاح، مبادئ علم الاجتماع، دار أسامة، دار المشرق الثقافي، عمان، الأردن، 2006، صص

11

55-56

¹² إبراهيم عثمان، مقدمة في علم الاجتماع، دار الشروق للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، 2006، ص ص15-16.

¹³ سمير خليل عبد الفتاح، مرجع سابق، ص 56

¹⁴ M.BOUTEFNOUCHET, Introduction à la sociologie, les fondements, Office des publications universitaires, 2004. P.157

¹⁵ علي عبد الرزاق جليبي، علم اجتماع السكان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2005، ص. 70

¹⁶ منير عبد الله كرادشة، علم السكان، الديموغرافيا الاجتماعية، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2009، ص. 35

¹⁷ عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، مرجع سابق، ص 400

¹⁸ منير عبد الله كرادشة، علم السكان، الديموغرافيا الاجتماعية، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2009، ص. 35

¹⁹ ابن خلدون، المقدمة، مرجع سابق، صص 607—605

²⁰ ابن خلدون، المقدمة، مرجع سابق، صص 190-188

²¹ ابن خلدون، المقدمة، مرجع سابق، ص 613

²² ابن خلدون، المقدمة، مرجع سابق، صص 137-135

إبراهيم عيسى عثمان، الفكر الاجتماعي و النظريات الكلاسيكية في علم الاجتماع، الشروق، الأردن، عمان، الطبعة

23

الاولى، 2009، ص 27.

²⁴ <https://sociologies.revues.org/2623>

²⁵ M.BOUTEFNOUCHET, op.cit. P161

²⁶ ابن خلدون، المقدمة، مرجع سابق، صص 435-432

²⁷ ابن خلدون، المقدمة، مرجع سابق، صص 136-135

²⁸ علي مراد سعيد ناصف علم الاجتماع الحضري، دار الحمد للطباعة، الطبعة الأولى، 2008، ص 97

²⁹ علي سعد الله، نظرية الدولة في الفكر الخلدوني، دار مجد لاوي للنشر و التوزيع، الأردن، عمان،

الطبعة الأولى، 2003، صص 69-68

³⁰ ابن خلدون، المقدمة، مرجع سابق، صص 185-184

³¹ Abdelghani Megherbi, La pensée sociologique d'Ibn Khaldoun, SNED , Alger, 1971 ,p.9

³² Y. Lacoste. Ibn Khaldoun : naissance de l'histoire, passé du Tiers monde, Paris , la Découverte, 1998, p-p.1-35

³³ Rrbtixier.pdf(secured) Emilie Tixier-Wieczorkiewicz, L'oeuvre d'Ibn Khaldun dans la recherche contemporaine depuis 1965, Rapport de recherche bibliographique, ENSSIB, 1999-2000

³⁴ 0402-CHEDDADI-FR-2.pdf(SECURED), Reconnaissance d'Ibn Khaldûn

³⁵ Site web: <http://classiques.uqac.ca/> Claude Horrut, Ibn Khaldûn, Un islam des « Lumières », (2006)